ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Abdullah Jassim Hussain Mohmmed AL- Jumaily

Affiliation: the Directorate General of Education in Kirkuk

Prof. Mariam Mohammed Jassim

Tikrit University
College of Education for Humanities

Prof. Asmaa Saber Jassim
Tikrit University
College of Education for Humanities

* *Corresponding author: E-mail* :اميل الباحث
٠٧٧٠٥١٨٢٢٦٣

***Keywords*:**
Imru Al-Qais
Al-Nabigha Al-Dhubyani
Al-Aasha
Al-Ghazl

ARTICLE INFO

Article history:
Received 10 May. 2020
Accepted 17 May 2020
Available online 25 Mar 2022
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

Ibn Salam's Inspirational Sources of Poetic Image among the First Generation of Primitive Poetry

ABSTRACT

This research addresses the romantic poetry written by Ibn Salam AL- Jumihi who is identified as one of the first generation of primitive poets. This paper tackles the poetic images alongside the poets' motives, situations and the characters portrayed in their poetry.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.1.3.2022.3

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

بواعث الصورة عند شعراء الطبقة الأولى الجاهلية لدى ابن سلاّم (ت ٢٣١هـ)

عبد الله جاسم حسين محمد الجميلي/ المديرية العامة لتربية كركوك
أ.د. مريم محمد جاسم/ جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية
أ.د. أسماء صابر جاسم/ جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين ومن أهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد فقد يفصح العنوان أي عنوان البحث عن المتن وان يكون مطابقاً له ، وهو بلا شك يستهدف بيان بواعث الطرب المتمثلة بـ(الغزل ورقة النسيب) عند شعراء الطبقة الأولى الجاهلية لدى ابن سلاّم الجمحي (ت ٢٣١هـ) وبيان تلك البواعث عن طريق الصور الشعرية التي رسمها الشعراء في أشعارهم، وعلى هذا

فإنّ هدفنا من البحث عرض الصور الشعرية ومناقشة دوافعها لدى الشعراء، والمواقف والشخصيات التي قيلت فيها الأشعار.

مفهوم الغزل:

هو ما كان حلو الألفاظِ سهلَ المعاني غير غامض وأَنْ يُختار لهُ ظاهر المعنى لين الإيثار.

والغزل من الأغراض الشعرية الجميلة المحببة إلى النفس، يُصور فيه أشواق المحبين ولواعجهم، ومن يتصفح ديوان الغزل العربي يجدهُ كبيراً وواسعاً، تغنى الشعراء من خلاله بالمرأة منذ عصر ما قبل الإسلام، وقد جعلهُ فريق منهم استهلالاً لمدائحهم وأهاجيهم وحماسياتهم، وخصَّصَ لهُ فريق آخر قصائد ومقطوعات وارتقى الغزل في عصر بني أُمية، وزادَ الإقبال عليه، وتغنى الشعراء بالمرأة ووصفوا معاناتهم في حبها، وقد اختصَّ بعضهم بواحدةٍ عاش لها وقضى وهو يحبها فسموا بالغزليين العذريين أو شعراء مدرسة "الغزل العفيف"، وعاش بعضهم الآخر يتصيد الجمال في كلِّ مكان، ويتبع الحسن أينما حلَّ وارتحل، وعُرفوا بشعراء "الغزل الحسي"، وهذان التياران يختلفان في الكمية والنوعية[١].

والغزل فن رقيق يتطلب من المرء حينما يخوض فيه أنْ يجد من الألفاظ رقيقها وعذبها، وأن يجيد الشاعر المتغزل حسن الشكوى والصبابة، وأنْ يبثَّ أشواقه لحبيبهِ بشكل هادئ جذاب، ولنا في تراثنا العربي أمثلة كثيرة، فالغزل "شكل من أشكال التعبير عن خلجات النفس الإنسانية، وعن المشاعر التي تنبعث منها، اذ يمتلكها سلطان المحبة وتتأجج فيها العواطف، فهو يصور أحوال النفوس بما لا يصورها غيره من الموضوعات، فهو يكشف عن دواخل المحبوب وسرائره، وينبع من عاطفة صادقة"[٢].

وهو من أغراض الشعر التي يعبر فيها الشاعر عن مشاعره وعواطفه وحواسه الجياشة نحو حبيبته، وغالباً ما يصدق الشاعر في هذه المشاعر والعواطف بحيث تعبِّر قصيدته عن تجربتهِ الخاصة وما يجول في وجدانه.

وفي الشعر الغزلي يقوم الشاعر بإظهار السمات الحسنى لحبيبتهِ من ناحية الخلق والأخلاق، كما يصف انفعالاته واشتياقه الصادق تجاهها، ويظهر هذا الأمر بشكلٍ واضحٍ لدى شعراء الغزل العذري، أمّا شعراء الغزل الحسّي فينظِّمون غزلهم في وصف مفاتن المرأة ومظهرها الخارجي.

لقد شغلت المرأة وغزلها الآداب والفنون، واحتل الغزل حيّزاً كبيراً من اهتمام الشعراء، ولم يحفلوا بشيء احتفاءهم به، وقد أكثر الشعراء من نظمهم في هذا الغرض حتى أنّهُ غلب أغراض الشعر الأُخرى، أو هو وسيلة يلجأ إليها الشاعر ليشحذ قريحتهُ، ويذكي شاعريته قبل أنْ ينفعل في موضوعه أو بالأحرى يتخذهُ إلهاماً روحياً.

لقد أدرك الشعراء القدماء بالحِسِّ والحدس الصادقين فضل الغزل على الأغراض الأُخرى، فجعلوه مفتتح القصائد ليلفتوا إليهم الاسماع، ولينفذوا من الأسماع إلى القلوب بلا عناء ولا استئذان، وربطوا الطلل بالمحبوبة، فكان هذا الربط أصدق الأدلة على وفائهم للوطن والسكن، وعلى جعلهم المرأة أقوى الوشائج التي تشدهم إلى منابتهم في الحل والترحال.

قال ابن قتيبة: "سمعت بعض أهل الأدب يذكر أنَّ مقصَّد الصيد إنَّما ابتدأ فيه بذكر الديار والمدن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين. إذا كانت نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر لإنتاجهم الكلأ، وانتقالهم من ماءٍ إلى ماءٍ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان. ثمَّ وصلَ ذلك بالنسيب، فشكا شدة الشوق، وألَم الوجد والفراق، وفرط الصّبابة، ليميل نحوهُ القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي بهِ إصغاء الأسماع إليه"[٣].

والغزل من أغراض الشعر الأساسية التي نظم فيها الشعراء سواء بقصائد مفردة او متداخلة مع أغراضٍ أخرى أو في مقدمات القصائد ، وهذه حال الكثير منهم، ويبدو أنَّ معظم المحبين لاقوا معاناة ومرارة من قبل مجتمعاتهم، فحالت دون المحبين وفَرّقَتْ بينهم، فاضطهدوا وعُذِّبوا، ولم يقبلوا بتركهِ وفك أَواصرهِ[٤].

وقد تناول الشاعر الجاهلي الجوانب النفسية والأخلاقية عند المرأة، وتغزّل بالقيم الاجتماعية العالية، والصفات الخلقية التي لم تخالطها قيم الحضارة الاجنبية ومفاهيمها الجديدة، واستحسن العفة والمنعة والحياء، وأكد أنَّ الحديث عن الجوانب الخلقية والجمال النفسي لا يقل أثراً في نفس الرجل عن جمال الجسد، بل هو أعمق منهُ وأقوى اجتذاباً[٥].

إنَّ حياء المرأة وعفتها من متممات المجتمع الجاهلي الذي صانَ الكرامة، وعرفَ النخوة والمروءة. فعز الدين اسماعيل يفسر وقفة الشاعر الجاهلي على الأطلال بأنّها كانت تعبيراً عن أزمة الإنسان في ذلك العصر، وعن موقفهِ من الكون، وخوفهِ من المجهول، أكثر مما كانت بكاءً على حبيبته غائبة أو سعادة زائلة، ويعيد ذلك إلى شعور الجاهليين بالقلق والحيرة وعدم الاستقرار[٦].

١ – امرؤ القيس:

ارتبطت المرأة ارتباطاً قوياً بحياة امرئ القيس، ومن ثم انعكست في شعرهِ، ولا تخلو قصيدة من قصائده من الغزل مطلقاً، ما عدا المقطوعات الصغيرة والتي نظم أغلبها بعد الأحداث القاسية التي مَرَّ بها، وأهمها مقتل أبيه وسعيه للأخذ بثأرهِ.

ولقد اتبع امرؤ القيس في غزلهِ أُسلوباً خاصاً جرى عليه الشعراء من بعدهِ وعدّوه النموذج الأعلى للغزل، وأول ما يرتبط الغزل لديه بالطلل في مطالع القصائد، وهو ما عُرِّف عند الباحثين بـ "النسيب" وذهب (هاملتون جِب) في صدد الوقوف على الأطلال عند امرئ القيس: "إنَّ هذا الموضوع الذي يغلب عليه اسم الغزل، لهو في الحقيقة شيءٌ يختلف تماماً، إنّهُ ذكرى حب حزينة، وعنصرهُ العاطفي الجوهري

هو اذكار الفراق وصلته عادة بالغزل ضعيفة وإنَّ أقدم القصائد التي يظن أنّ الشاعر يخاطب صاحبيه من أبناء عشيرته مختلفة في انتقاء الموضوعات وترتيبها، ويبدو أنّها لا وظيفة لها غير التعبير عن شخصية الشاعر الخاصة وردوده لظروفهِ وأولها من ناحية الجدارة الشعرية، وقصيدته اعتداد بالنفس تماماً، وتشتهر بالأوصاف الطبيعية، وتتضمن صورة لطيفة لزوبعة، وتشتهر بصراحتهِ أيضاً في مقطوعاتهِ الغرامية"[٧]. ويمتاز النسيب بالصدق الشعوري والواقعية والبساطة والتصوير المتقن وإنسانية العاطفة، والصدق في الأخيلة والتعبير معاً.

وتمتاز المقدمات الطللية عند امرئ القيس بواقعيتها، فهو يرسمها بإنسانية دافقة من دون مبالغة أو تزييف "وهو فيها فنان أصيل يمتاز بطاقة فنية ضخمة، تتيح لهُ الإنطلاق في عملهِ الفني انطلاقاً طبيعياً من غير مشقة ولا عناء، والعمل الفني عنده ليس أكثر من تسجيل مباشر للتجربة الانفعالية التي يمر بها كما أحسَّها أو شعر بها من غير افتعال أو تصنع، والصورة الفنية في شعرهِ صورة طبيعية بسيطة يسيطر عليها لون التشبيه، وهو لون يستمد أصباغهُ من البيئة الصحراوية التي يعيش فيها ويشتق عناصره الأولية من المشاهد الحسية التي يقع عليها بصره"[٨].

لذا نجد أنَّ مقدمات امرئ القيس الطللية تزخر بالحياة وتتدفق فيها نبضات قلبه وحسراته، حتى لنكاد نتخيله وهو يذرف العبرات بأسى على أيام ودعها، فتنساب كلماته رقراقة عذبة بسيطة معبرة.

إنَّ تجربة امرئ القيس مع الطلل تنطوي على نزاع بين الاستقرار والرحيل وبين الأُلفة والوحشة، بين القرب والبعد ومن ثم بين الحياة والموت، فيستهل معظم مطالع قصائده بالطلل وبالبكاء، والبكاء تجسيد للآلام والأحزان المبرحة للوقوف أمام عثرة المستحيل والانطواعية على احساس حاد مفجع شبيه بإحساس الموت والذي عبَّر عنه في الكثير من اشعاره[٩].

والطلل عند امرئ القيس كائن حي ؛ لأنّهُ حي في نفسهِ وفي ذكرياته لذا يقف منهُ موقف الاحياء، يناجيه ويحدثه، ويبث لهُ لواعج أحزانه وحبه واشواقه، وهو لا يكتفي بالتحية عليه والكلام معهُ بل يطلب إليه أنْ يجيبه عن أسئلته وكأنّه يرى فيه روح الاحياء التي كانت تقطن لأنّهُ يرى فيه ذكرى الحبيب وبقاياه.

ولقد ارتبط الغزل في بناء القصيدة عند امرئ القيس بوصف الظعائن، وهي صلة الوصل بين الوقوف على الأطلال والوصول إلى المرأة المرغوبة، فبعد التساؤل الذي يسود الوقوف على الأطلال عادةً ينتهي هذا السؤال بوصف الطريق الذي يسلكهُ الشاعر للوصول إلى المرأة ويختلط الواقع بالخيال، والحلم بتحديد الأماكن التي يصلون إليها ويتجاوزونها، ويهتم الشاعر بجغرافية المكان اهتماماً خاصاً، لينتقل بعدها إلى وصف الهودج، وتلعب القيم النفسية وانفعالات الشاعر وهو في طريقه إلى المحبوب دوراً في هذه الرحلة، فقد كانت حياة امرئ القيس مرتبطة بالأرض، وكان هذا الارتباط يحكم العلاقات الاجتماعية يصبغها بلونه الخاص من اللقاء والاجتماع إلى الفرقة والقطيعة، وكانت الرحلة واحدة من

أبرز هذه الوقائع لذا شاعت في أدبه والشعراء من بعده، ويبدأ الظعن بالتساؤل عند امرئ القيس ليعلن بعدهُ خبر الرحيل واذاعته بين الناس وهو مدخل إلى الحديث عن محبوبته التي يتغزل بها(١٠).

والغزل وليد عاطفة الحب وتصوير لنفسية قائلهِ، فهو إذن يتسم بالصدق الشعوري، فقليلاً ما كان ينبعث عن محاكاة أو تكلف، ويتسم الغزل بالصدق الفني والقدرة على التعبير الصادق عن العاطفة والبراعة في تصويرها، حتى لكأنَّ الشاعر يجسمها لقرائهِ وسامعيه فيشاركونهُ مشاركة وجدانية في أفراحهِ وأتراحهِ ويشعر كلٌّ منهم أنّ هذا ليس تعبيراً عن عاطفة الشاعر وحده وإنّما هو تعبير عن العاطفة الإنسانية الخالدة وهو من أسمى أبواب الشعر العربي إنْ لم يكنْ أسماها جميعاً.

وقد أورد امرؤ القيس العديد من أسماء النساء اللواتي تغزل بِهنَّ في شعره، واهتم الشاعر كثيراً بذكر مغامراته الغرامية معهن، كما اهتم بذكر أوصافهنّ ومحاسنهنّ الحسية، وغزلهُ صريح وواقعي مستمد من تجاربه الحياتية الخاصة، ولاسيّما إعجاب الشاعر بالنساء المتزوجات(١١).

ويمتاز امرؤ القيس بجرأة فريدة في غزلهِ في وصف محاسن المرأة والدخول إلى عالمها الخاص وهو لا يتحرج في ذلك إطلاقاً، وله صراحة متناهية في ذلك، والمرأة لها مكانة عالية عند الشاعر.

والغزل الصريح عند امرئ القيس لم يكن هدفه المرأة ومفاتنها الجسدية، ولاسيّما بعد ذهاب زعامة أبيه، وإنّما كان هدفه الذهاب بفكرهِ وخيالهِ بعيداً عن وطأة الأحداث وجسامتها والترويح عن نفسه المعذبة لما أصابها وحلَّ بها. ومما ورد من شعره في الغزل قوله(١٢):

أَأَسماءُ أمسى وُدُّها قَدْ تَغَيَرا	**سَنُبدِلُ إِنْ أَبْدَلْتِ بالوُدِّ آخَرَا**
تَذَكّرْتُ أَهْلي الصّالحينَ وَقَدْ أَتَتْ	**عَلى خَمَلى خُوصُ الركابِ وَأَوْجَرَا**
فَلَمَّا بَدَتْ حَوْرانُ في الآلِ دُونَها	**نَظَرْتَ فَلَمْ تَنْظُر بِعَينِك مَنْظَرَا**
تَقَطّعُ أَسْبابُ اللُّبَانَةِ وَالهَوى	**عَشِيّةَ جاوَزْنا حَماةً وَشَيْزَرَا**
بِسَيْرٍ يَضُجُّ العَوْدُ مِنْهُ يَمَنُّهُ	**أَخو الجَهْدِ لا يَلوي على مَنْ تَعَذّرَا**
وَلَمْ يُنْسِني ما قَدْ لَقيتُ ظعَائناً	**وَخَمْلاً لها كالقَهْرِ يَوْماً مُخَدَّرَا**
كأُثْلٍ من الأَعْراضِ مِنْ دونِ بَيثَةٍ	**وَدُونِ الغُمَيْرِ عامِداتٍ لِغَضْوَرَا**

وهو يريد بذلك عدم التغير من خلال ما قاله في بيته الأول وهو يخاطب (اسماء) فهو يبّرُ بعهدهِ، ويوفي بميثاقهِ، وأنّهُ على الرغم من بعده عن الأهل والأحباب بما في ذلك محبوبتهِ، لكنه لا ينسى ما بينهم من الحب والود.

فالشاعر قد صوَّر محبوبته عن طريق الصور الحسية المستمدة من البيئة الجاهلية من خلال ما يراه وما يحس به بحواسهِ، فالمرأة في الشعر الجاهلي قد شكلت رمزاً ومنفذاً للعديد من القصائد الجاهلية للدخول إلى الغرض الرئيس من جهة، ومن جهة أُخرى شكلت معاناة حقيقية لبعض القصائد.

فهو قد اعتمد على حواسهِ في إخراج الصورة الشعرية ؛ لأنَّ ملكة الخيال لديه شديدة الاتصال بحسهِ المادي والجذور النفسية العميقة المرتبطة بالواقع الاجتماعي الذي عاش فيه الشاعر، فمن الممكن ردها إلى رعاية الأُم وحنانها وما تشيعهُ في نفس وليدها من دفء وسكينة، فقد عاش الشاعر يتيماً فهو لمْ ينلْ ما يشبع نهم الطفولة وتعلقها بالأُم، فالصورة الشعرية عنده هي أصدق تعبير عن خلجات نفسه، والباعث النفسي في رسم الصور الشعرية لديه يأتي بالدرجة الأساس في التعويض عن النقص الذي لاقاه الشاعر في مراحل حياته الأولى.

وحال امرئ القيس حال الذين يصابون بتغيرٍ خطيرٍ في مجرى حياتهم، فهم ميالون إلى كثرة التحدث عن ذكريات مضت وبشيء من المبالغة في كثيرٍ من الأحيان، وإلى التعلل بالأحلام البراقة كالسجناء مثلاً أو الذين يصابون بعاهة مفاجئة تحد من نشاطهم وقوتهم، وقد كان النقص المتمثل بفقدان حنان الأُم والأب وذهاب الملكة هي البواعث النفسية لدى امرئ القيس، والتي عَبّرَ عنها في الكثير من غزلهِ، وقد صَور لنا صوراً حسية من خلال غزلهِ المتمثل بالأبيات السابقة[١٣].

ومما ورد من شعر امرئ القيس في الغزل قوله[١٤]:

أشـــاقَكَ مِـــنْ آلِ لَيْلَـــى الطَّلَـــلْ	فَقَلْبُـــكَ مِـــنْ ذِكْرِهـــا مُخْتَبَـــلْ
فَـــلا هـــي تَعْطِـــفُ مِـــنْ وُدِّهـــا	وَلا أَنْـــتَ تَعْقِـــلُ فِـــيْمَنْ عَقَـــلْ
وَصـــادَتْكَ غَـــرَّاءُ، وَهْنانَـــةٌ	ثَقَـــالٌ، فَمـــا خالَطَـــتْ مِـــنْ عَجَـــلْ
رُقُـــودُ الضُّـــحَا، سَـــاجِياً طَرْفُهـــا	يُمَيِّلُهـــا حِـــيْنَ تَمْشـــي الكَسَـــلْ
عَظِيْمَـــةُ حِلْـــمٍ إذا اسْـــتُنْطِقَتْ	تُطِيْـــلُ السُّـــكُوتَ إذا لَـــمْ تُسَـــلْ
وَبَلهـــاءُ فـــي غَيْـــرِ عِـــيٍّ بِهـــا	يَـــرَى لُبُّهـــا ظـــاهراً مِـــنْ عَقَـــلْ
لهـــا العَـــيْنُ والجِيْـــدُ مِـــنْ ظِبْيَـــةٍ	وَفَـــرْعٌ عَلـــى مَتْنِهـــا مُنْسَـــدِلْ
وَخَـــدٌّ لهـــا كَحُســـامٍ صَـــقِيْلٍ	جَلَتْـــهُ الصَّـــيَاقِلُ حتـــى خَضِـــلْ؟
وَكَـــفٌّ يُـــزَيِّن أعلامَهـــا	بَنـــانٌ كَهُـــدْبِ الـــدِّمَقْس انْفَتَـــلْ
ومِعْصَـــمُها حَسَـــنٌ جَدْلُـــهُ	أُتَـــمُّ فَنَـــاظِرُهُ مـــا يَمَـــلْ

فالشاعر صَوَّر لنا حبيبته تصويراً حسياً قائم على الصور الحسية، وهو يختار ألفاظاً دقيقة تعطي معاني جميلة والتي بدورها تمنح لشعرهِ حضوراً في كلِّ زمان ومكان فهو يعود في غزله السابق إلى ذكر الأحباب والأطلال والإشارة إلى ودها، ويصف نفسه بأنَّهُ قد وقع في شَرَكْ البيضاء ذات الوقار، ويدخل في وصف مفاتن جسدها وصفاً دقيقاً، بما في ذلك نعومة جيدها وعيونها التي يشبهها بالظبية، وكذلك خدها الذي يشبهه بالسيف المصقول أي أنَهُ يريد بذلك شدة صفاء وجهها وأصابعها التي تشبه هدب حرير الدِّمَقس.

وقد عبّر امرئ القيس عن بيئتهِ وحياته الاجتماعية أصدق تعبير، ولذلك حاول الكثير من الشعراء معارضة أشعاره أو مجاراتها في الأُسلوب الشعري، والسبب في ذلك هو صدق العاطفة في أشعاره.

وقوام الصورة عندهُ حبهُ للطبيعة، وكان شعره سجلاً لأحداث حياته ، وذلك هو الباعث النفسي لشعرهِ بسبب التقلبات الكثيرة في حياته ويظهر الشاعر شوقه لمحبوبتهِ التي تثير لديه عاطفة الحب، وهو بذلك يكون الباعث الذي دفع الشاعر وشدّهُ للوقوف على الأطلال، فانطلق معبراً عن محبوبته بصور حسية جميلة من خلال غزله بها(١٥).

٢- النابغة الذبياني:

حظي شعر النابغة باهتمام الأُدباء قديماً وحديثاً ولعلّ السمة اللافتة في شعرهِ هي ذاك التأثر بالظروف المكانية والزمانية التي حملته على أنْ يضفي على فنونه طابعاً من الواقعية مستمداً من البيئة البدوية أو الحضرية، فهو جزل شديد الأسر في أوصافهِ الصحراوية، رقيق عذب واضح العبارة بعيد عن الخشونة ممعن في السهولة، في وصف حالات الوجدان، وفي أداء الخواطر أو إرسال الحكم.

قد شهد له بما في شعرهِ من ايقاع موسيقي، وروعة في التشبيه، وبراعة في أغراض الشعر المختلفة وفي ديوانه الكثير من قصائده الدالة على نبوغه(١٦). وهو من الشعراء الذين ذاع صيتهم في الغزل فكتب العديد من القصائد التي احتوت أبياتها على الغزل من خلال بعض المفردات والتشبيهات التي جعلت شعرهُ في الغزل من أجمل ما كُتب في الشعر العربي.

وهو يتميز بأُسلوب جميل في شعرهِ ، فضلاً عن استعمال الألفاظ السهلة في الأسماع التي تحرك شعور السامع، والصور التي تُقرّب المعنى وتجعل السامع يتفاعل معها، وأكثر ما يظهر ذلك في شعره في الغزل فضلاً عن الأغراض الأخرى.

واتسم النابغة بالحلم والحكمة ، فقد كان يحكم بين الشعراء في سوق عكاظ وذلك دليل على مقدرته الشعرية فهو قد أتقن الشعر تماماً فضلا عن اللقب الذي لُقِّب به وهو (النابغة) فهو لقبٌ لم يكن يطلق اعتباطاً عند الشعراء القدماء ، وانّما على من تميز وذاع صيته .

" وهو لا يعتمد في صياغته الشعرية على البديهة المرتجلة وإنّما لديه كدٌ قائمٌ، خفي، فهو ينظم وفقاً لأُسلوب فني يرى الشعر لا يبلغ صفاءه بالصور والمعاني والأفكار بل بالموسيقى التي تواكبهُ بصمت واختفاء من الداخل إنّهُ يُعبّر بالنغم كما يُعبّر باللفظ والمعنى والصورة، ولعلّ النغم أشدُ تأثيراً لديه من المعنى، وسائر أساليب التعبير الشعري. ذلك أنّ لديه براعة فائقة في انتقاء الحرف الذاهل الذي يغني بقدر ما يُعبّر لذلك لا ننفك نشعر أنّ الحروف في شعرهِ إنّما تتضوع من نفسه، من تجربتهِ وليست تؤخذ أو تُستعار من ذاكرتهِ وذهنهِ"(١٧).

وألفاظه تأتي ممثلة لمعانيها موحية بها حتى بمخارج الحروف، وهي تؤدي المعنى في ذاتها وفي جرس حروفها كما أنَّ في وزنها دلالة على الملاحقة والتعاقب ولذلك كانت للنابغة منزلة كبيرة لدى الشعراء والنقاد، والذي جعلهُ يتبوأ هذه المنزلة هو شعره.

ومما ورد من شعر النابغة الذبياني قوله في الغزل(١٨):

قامَتْ تراءى بَيْنَ سَجْفَي كِلّةٍ ... كالشَمْسِ يَوْمَ طُلُوعِها بالأسعُدِ
سَقَطَ النّصيفُ، وَلَمْ تُرِدْ إسقاطَهُ ... فَتَناوَلَتْهُ، واتّقَتْنا بِاليَدِ
بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ، كأنّ بَنانَهُ ... عَنَمٌ، يَكادُ مِنَ اللطافَةِ يُعْقَدُ
نَظَرَتْ إلَيْكَ بِحاجَةٍ لَمْ تَقْضِها ... نَظَرَ السّقِيمَ إلى وُجُوهِ العُوَّدِ
تَجْلُو بِقادِمَتَيْ حَمامَةِ أَيْكَةٍ ... بَرَداً أُسِفّ لِثاتُهُ بالإثْمِدِ
كالأقحوانِ، غَداةَ غِبّ سَمائِهِ ... جَفَّتْ أَعاليهِ وأَسْفَلَهُ نَدِي

وعدّ الدكتور يحيى الجبوري قول النابغة السابق صوراً متطورة صياغةً بصور زاهية تروق السمع فالتمس لهذه الغانية أسباب الجمال في حسنها وحركتها فهو يشبهها بالشمس يوم طلوعها بالأسعدِ وهو برج الحمل حيث تكون الشمس بين غلائل من السحب الشفافة فتبدو بأزهى صور؛ ويشبهها بالدرة التي تختبئ بين صدفتين أو دُمية من مرمر أبيض ناعم، ولثاتها الحمراء كالأقحوانة بللها الندي فهيأ أسباب التشبيه بصور أُخرى تُظهر للقارئ جمالاً(١٩).

وواضح من خلال غزله الذي ذُكر أنَّهُ فيه قدرة بارعة على الوصف وعاطفة قوية، وهو في شعره عموماً وغزله خصوصاً يحاول أنْ يجاري الشعراء ليتمسك بالتقليد الثابت عند الجاهليين، وهو عدم التقيد بالغرض الشعري في القصيدة الواحدة، غير أنَّ النابغة فصَّلَ الصورة حتى يُحكم المعنى ويكشفهُ كشفاً دقيقاً.

ولقد وجد النابغة في الغزل متنفساً لمعاناتهِ التي باعثها الحرمان من الجمال، واضطراب حياته وعدم استقرارها وهذا ما أدى إلى عدم الاستقرار في العواطف والمشاعر مما جعل غزلهُ عميق الاحساس بالجمال، وتظهر فيه قدرة الشاعر على التشخيص(٢٠).

وظاهر في غزل النابغة المعاني الجاهلية بشكل واضح، وكذلك تتميز بالرقة والعذوبة، وفيها الاستواء في الأبيات والتسلسل في المعاني، والترفق في الانتقال من غرض إلى آخر.

فغزله لا يختلف عن سائر شعره فالأُسلوب رائع وجميل، والألفاظ قوية وذات عذوبة عالية، فعندما يُقرأ يدل على قوة شاعرية صاحبه، وهو متأثر في غزلهِ بالبيئة المحيطة به، وإنّهُ كان على درجة عالية من التجويد في شعرهِ الغزلي، وأنّهُ امتلك أبعاد الذات التواقة للحب، والتي قلّما يغيب عنها إنسان.

والباعث الذي دفع النابغة في شعرهِ إلى التغزل بمحبوبته أنّهم كانوا بين اجتماع وافتراق ونزول ورحيل، بعثهُ ذلك على وصف هيئة المحبوبة في قيامها، وأنّها كالشمس يوم طلوعها وهي في أتم

ضياؤها، ويبين كيف يكون جمالها بزوال نصف الخِمار؟، ويصف أصابعها بالعنم وهو شجر أغصانه لينة فكذلك حال أصابعها، وكذلك الأوصاف التي ذكرها في المحبوبة فإنّها نابعة عن بواعث نفسية داخلية تبين أحاسيس الشاعر من خلال تأثرِهِ بما يراه من مفاتن وإنَّ اتصاله بالملوك واطلاعه على القصر وما فيه من الأمور الجديدة على الشاعر قد هذّبَ نفسيتهُ وصقلها، وهذا ظاهر في غزله، وهو يحال التعبير عن خلجات نفسهِ لما رآه من جال النساء، فهو أراد أن يُعبِّر عن النقص الذي عاشه.

فأبياته السابقة في الغزل شكلت ايقاعاً نفسياً، أراد من خلالها التعبير عن الحالة الشعورية التي يمر بها والتي حاول إيصالها إلى المتلقي عن طريق الغزل.

ولما كان الشاعر مبدع صوره، وكان لابد لصورهِ من مقومات تستند إليها في تكوينها، فهو من يقوم بإيصالها إلى المتلقي بأُسلوبه الخاص وينقلها إليه ليعبر عن البواعث الداخلية التي تدور في ذاتهِ فهو يعبر من خلالها عن تجاربه التي عاشها وأحاسيس الشاعر هي مصادر ذاتية للشاعر في التعبير عن صوره من خلال ما يشاهده أو يحس به من خلال حواسه، فالشاعر الجاهلي كان يعتمد التعبير بالصورة الحسية على درجة كبيرة[٢١].

وللنابغة أشعار جميلة في الغزل عَبّر من خلالها عن عاطفتهِ ومنها قوله[٢٢]:

بانَتْ سُعادُ، وأَمْسَى حَبْلُها انجذما، واختلّتِ الشَّرْعَ فالأجزاعَ مِنْ إضَما
إحْدى بَلِيٍّ، وما هامَ الفُؤادُ بها، إلا السّفاه، وإلاّ ذِكْرَةً حُلمَا
لَيْسَتْ مِنَ السّودِ أعقاباً إذا انصرَفَتْ، ولا تَبيعُ، بِجَنْبي نَخْلَةَ، البُرَمَا
غَرّاءُ أكْمَلُ مَنْ يَمْشي عَلى قَدَمٍ حُسْنا وأَمْلَحُ مَنْ حَاوَرْتَهُ الكَلَمَا
قالَتْ: أراكَ أخا رَحْلٍ وَراحِلَةٍ، تَغْشى مَتالِفَ، لَنْ يُنظِرْنَك الهَرَما

فالنابغة في هذه القصيدة صَوّرَ لنا صوراً اعتمد فيها على التصوير الحسي فحاله فيها حال أغلب الشعراء الجاهليين اعتمدوا في صورهم على ما يحيط بهم في بيئتهم، وعَبَّرَ لنا النابغة عن عواطفهِ بصور جميلة، فهو يقول: بأنّ حبل الوصل بينهما انقطع وهذا الانقطاع إمّا هجراً وإمّا بُعْداً ويذكر اسم الوادي الذي تذكر فيه محبوبته وهو (الشرع)، وقال في شعره متغزلاً بها، وهي عنده ليست بسوداء الرجل إذا انفتلت وأرتك قدمها بل هي بيضاء ناعمة رخص القدم، فقد كانت في نهاية الحسن والشرف والدعة، وهي غَرّاء أي بيضاء لأنَّ غَرّاء مأخوذة من الغرّة وهي تستعمل في الوجه، ثم وصفها بملاحة الكلام وإذا حسن كلامها دَلَّ على خفرها، والعرب تتسدل على الحسن بذلك.

فالباعث عنده على قوله لتلك الأبيات إنّهُ ينم عن المعنى النفسي لديه ونَفَّسَ عن احساساتهِ، ومن خلال الألفاظ والمعاني يتبين الصقل الواضح لنفسيتهِ.

٣- زهير بن أبي سُلمى:

زهير بن أبي سُلمى شاعر كبير وفحل من فحول شعراء العرب ، وذلك يبدو في ديوانه الذي وصل إلينا، فقد كان شاعراً من طراز ممتاز. ذهب بعض النقاد إلى تقديم زهير على سائر الشعراء وذهب العجّاج وابن الأحمر إلى أنّهُ أشعر الناس[٢٣] بدون ذكر الأسباب التي تسند رأيهم هذا.

في حين أنّ ابن سلاّم ذكر في طبقاته النص الآتي: "أخبرني أبو قيس العنبري–ولم أرَ بدوياً يزيد عليه–عن عكرمة بن جرير، قال: قلت لأبي: يا أبتي من أشعر الناس؟ قال: أعن أهل الجاهلية تسألني أم الإسلام؟ قلت: ما أردت إلاّ الإسلام، فإنْ ذكرت الجاهلية فاخبرني عن أهلها. قال: زهير شاعرهم. قال: قلت فالإسلام؟ قال: الفرزدق نبعة الشعر"[٢٤].

فجرير في هذا النص يقدم زهيراً على شعراء الجاهلية ويحكم له بالشاعرية الفذة التي لا يدانيها أحد، وهو يذهب إلى الإشادة بشاعريتهِ وأنّه فحل من فحول الجاهلية وأنّهُ مبدع متمكن في أغلب أغراض الشعر.

وللغزل نصيبٌ من شعر زهير، وهو يسير فيه على نمط غيره من شعراء الجاهلية، فيبدأ قصائده بالغزل أو النسيب أو التشبيب وهذه هي الأسماء الأساسية التي يدور الغزل حولها وهي بمعنى واحد.

وشعر زهير في الغزل جاءنا في مقدمات قصائده، وهو لا يأتي فيه بجديد ونماذجه الملاحظة هي البكاء على الأطلال أو وصف يوم الرحيل والظعن.

ولعلَّ أظهر ما يتصف به زهير عند الرواة أنّهُ كان متأنٍ حريص في قول الشعر، فهو يفكر ويروّي وينقح، ولذلك أُضيفت إليه قصة الحوليات، وهذه الخصلة التي يذكرها الرواة لزهير وتلاميذه تؤيد ما قلناه من أنّ أصحاب هذه المدرسة الشعرية كانوا أصحاب فن وأناة في هذا الغرض ، ومن هنا كثر الاستشهاد بشعر زهير في البيان[٢٥] ومما استشهدوا به من شعره قوله في الغزل[٢٦]:

جَرَى دَمْعي فَهَيَّجَ لِي شُجونا ... فَقَلبي يَسْتَجِنّ لَهُ جُنونَا

أَأَبكي للفِرَاقِ وكُلُّ حَيٍّ ... سَيَبْكي حينَ يَفْتَقِدُ القَرينَا

فإنْ تُصْبِحْ ظَلِيمَةُ فارَقَتْني ... بِبَيْنٍ فَالرّزيئَةُ أَنْ تَبِيْنَا

فهو في أبياته هذه يبين أثر الفراق واللوعة والحرمان ويظهر فيها مدى تمكنه في النظم من حسن الصياغة والانسجام في المعاني، وعلى الأغلب أنّهُ قالها بعد كبر سنه وأنّه تميز فيها باختياره للألفاظ والمعاني التي تظهر فيها الرزانة والتأني.

ولم تكن العاطفة في شعر زهير هي السمة الرئيسة وإنَّ اشعاره جاءت لتُحدِّث العقل قبل القلب في قالب من الوقار، وشعره أقرب ما يكون إلى الأُسلوب التعليمي عموماً وحتى في غزله بما فيه من حكم ووضوح فكري ورصانة في اختيار العبارات، وفيه دروس وارشادات ويقول طه حسين: "إنَّ زهيراً قد يتغزل كارهاً للغزل، ويشبب زاهداً في التشبيب، ويتحدث عن صاحبتهِ معرضاً عنها"[٢٧].

ويظهر من خلال ما ورد من شعره الغزلي في ديوانه أنَّهُ من شعراء الغزل ولكنه قد يكون مقصِّراً فيه فهو على ما يبدو لا يمنحهُ من وقتهِ وجهدهِ وتفكيره ما ينبغي.

ويقول الجندي في ذلك: كان زهير رجلاً متوقراً صارخاً عن أسباب اللهو ودواعي المجون يتخذ مثالاً للعفة وكرم الخُلق، وهو عزوف نفسه عن حياة العبث والمجون، وهذا ما أراه تعليلاً لضيقهِ بالغزل ؛ لأنَّ زهيراً كان مشهوراً بالتروي في فنهِ ومجانبة التقصير فيه[٢٨].

وغزل زهير لم يكن صدى حب وقع فيه الشاعر، ولا ينم عن معاناة عميقة ومكابدة مضنية إنّما هو شعور هادئ معتدل أحسهُ الشاعر إزاء النساء اللائي عرفهنّ وخالطهنّ، فراح يشبب بِهنّ ويصف مفاتنهُنَّ[٢٩].

وفي معرض تشكيله التصويري لحبيبته، فهو يقول فيها متغزلاً[٣٠]:

قامَتْ تَرَاء بِذي ضَالٍ لِتَحْزُنَني ... وَمال مَحالَةَ أَنْ يَشْتاقَ مَنْ عَشِقَا

بِجِيْدِ مُغْزَلَةٍ أَدماءَ خَاذِلَةِ ... مِنَ الظّباءِ تُرَاعي شَادِناً خَرِقَا

كأَنَّ رِيقَتَها بَعد الكَرى اغتُبِقَتْ ... مِنْ طَيّبِ الرّاح لما يَعْدُ أَنْ عَتُقا

مازِلْتُ أَرْمُقُهُمْ حتى إذا هَبَطَتْ ... أَيدي الرّكابِ بِهم مِنْ راكِسٍ فَلَقَا

دَانِيةً لِشَرورِي أَوقَفا أَدَمٍ ... يَسْعى الحُداةُ على آثارِهِم حِزَقا

كان زهير بارعاً في صنع صوره الشعرية، وهي براعة نرى آثارها في كلِّ مكان من ديوانه، فهو شاعر يعرف كيف يرسم صوره؟، ويبعث الحياة والحركة فيها لتعبر عن روعة الفن بأجمل ما يكون، فهو يصوغها صياغة تامة من كلِّ النواحي، فهو في صوره السابقة يتذكر حبيبته ويصفها وصفاً رائعاً بما في ذلك وصفه لفم محبوبته العذب، وأنّها صاحبة ثغر نقي، وكذلك تصويره لاشتياقه لها، وكذلك ذكر أوصافها الأخرى عن طريق رسمه للصور الحسية بما في ذلك جيدها ونعومتهِ وتشبيهها بالضباء، وأنّهُ يذكر المناطق التي كان فيها عند نظمهِ لقصيدته تلك[٣١].

والغزل عند زهير لا يخلو من تلك السّمة الغالبة على غزل الشعراء الجاهليين جميعاً، وهي العناية بالجانب المادي المحسوس من المرأة دون الجانب النفسي حتى ليكاد غزلهم يكون في جملتهِ وصفاً لمحاسن المرأة ومفاتنها الجسدية.

والباعث الذي دفع زهير إلى قوله الغزلي السابق في محبوبتهِ هو ناتج عن المعاناة النفسية التي يكابدها وكذلك ألم الفراق، فهو فيما يبدو من أبياته السابقة قد قالها وهو في مواضع معروفة وهي (شروري وأدم) وهما جبلان معروفان، وهو يذكر فيها أيضاً (الحادي) وهو الذي يسوق الإبل في جماعات، فكل تلك الأشياء فضلا عن البيئة التي كان فيها الشاعر كلها بواعث دفعت الشاعر للتعبير عن أحاسيسه تجاه الحبيبة وكذلك التعبير عن معاناته.

ولعلَّ أهم ما يلاحظ عند شاعرنا أنّهُ يُعنى بتفصيل التشبيه إذ لا يزال يلح على الصورة التي يعرضها، وكأنَّهُ يريد أنْ يستوفيها بجميع دقائقها وتفصيلها استيفاءً كاملاً.

يبدو أنَّ زهيراً كان شاعراً مصوراً، فالتصوير أساس فنه، وكأنّما تحولَ عقله إلى آلة لاقطة، آلة تفكر في الأشياء من خلال أشياء أُخرى فتعقد ما لا يُحصى من مشابهات ومشاكلات، وما تلبث أنْ تتمثل فيما يقع تحت حسها أشباحاً وأطيافاً تتراءى لها واضحة تمام الوضوح[٣٢].

وأغلب غزله فيأتي به مجاراة للعادة والتقاليد المرعية في نظم القصائد، وهو في أغلبها معجل لا يمنحهُ من وقتهِ إلّا القليل[٣٣].

٤- الأعشى:

إنَّ صورة حياة الأعشى التي نقلتها الروايات الأخبارية باهتة المعالم شأنهُ في ذلك شأن شعراء الجاهلية والشعراء القدامى .

لقد عاش الأعشى في (منفوحة) وقد أخذت بنصيبها من الحضارة، واشتهرت بالزراعة، وجمال الطبيعة، وكان في كنف قبيلة قوية ذات بأس وتأريخ أنجبت مجموعة من نخبة الشعراء الجاهليين، وحبت شاعرنا فيما يبدو سليقتهُ الشعرية، التي استقت أيضاً مورداً آخر هو الموهبة الشعرية عند قومه، فكان راوية خاله المُسيّب بن علس، وإذن فقد لعبت الوراثة فيما يبدو والبيئة، والمؤثرات الاجنبية دورها في خلق شاعريتهُ وصقلها[٣٤].

ويرى الدكتور عبد اللطيف حمودي الطائي أنَّ الأعشى من أثقف شعراء الجاهلية قاصراً الموارد الثقافية في شعرهِ على: الديانة النصرانية، والثقافة العامة التي اكتسبا من تطوافه البلدان والضرب في الممالك[٣٥].

ولقد عاش حياته متنقلاً من مكان إلى مكان، وقد زاده ذلك التنقل الدائم والترحال المستمر فضلاً عن الوفر المالي، وفراً ثقافياً بدت معاملهُ واضحة في ثنايا شعره من خلال ذكرهِ الكثير من أخبار الأُمم القديمة، ووصفه لكثير من المشاهدات التي تَعَرّفَ عليها إبان تجواله الطويل، وكانت سبباً في سعة اطلاعهِ وغناه، وتلوين شعره بالصور المختلفة التي جعلته شعراً زاهياً وغنياً بالرؤى والمشاهدات وقد ظهرت في شعره آثار البيئات التي زارها.

وسيرتهُ الأدبية قد حظيت باهتمام كبير، وتداولها النقاد والدارسون على مدى العصور درساً وتحليلاً، ويعود السبب في ذلك إلى أهمية شعر الأعشى، وتعدد أغراضه ومناحيه، بحيث نرى ديوانه

يحفل بأكثر الأغراض الشعرية المعروفة، كما يمتاز عن غيرهِ من الشعراء بكثرة قصائده الجياد، وتصرّفه في سائر أغراض الشعر(٣٦).

والعوامل الذاتية التي ساهمت في خلق شخصيتهُ الأدبية، فتكمن في نوازع الطفولة الأُولى والمؤثرات العامة عليها، وهذه الخطوط مجهولة وغامضة، لكننا نعرف أنّهُ ولد في قرية (منفوحة) باليمن من أَب كان قد لقيَ مصرعهُ في حادث فريد من نوعه لا يقع لكل إنسان، وهو دخوله في غار يستظل فيه، فسقطت صخرة كبيرة سدت فتحة الغار، فلم يجد من ينقذهُ، فمات فيه(٣٧).

ويبدو أنَّ هذا الحادث كان في سنوات متقدمة من طفولته ؛ لأنّنا نجد تأثير أخواله في طفولته، وكان الأعشى معجباً بخالهِ المَسيّب بن علس، واسمه زهير و(علس) لقب له، حتى صار راوية له، يتأثر بشعرهِ وينهج نهجه(٣٨).

وفي الغزل فقد تميز الأعشى بحب اللذة والمتعة الدنيوية ونجد أنّ اللذة والمتعة لديه يكمنان في الخمر والمرأة، حتى أنَّ ذكره قد اقترن عند القدماء بهما(٣٩).

ومن خلال حياة الشاعر وسيرته نرى أنّهُ كان سعيداً في حياته منعّماً بها مترفاً غاية في الترف، فهو يبدو من خلال حياته من الذين لا يجدون وقت فراغ ممل في حياتهم ليصبحوا تعساء، فقد كَيّف نفسه على السفر والتنقل من مكان إلى آخر طلباً لمجالس السَمر والراحة.

لقد أفسح الأعشى للغزل مجالاً واسعاً في صدور قصائده، فكان أَهم شاعر استكثر من المقدمات الغزلية، وعُنيَ بها، ولقد عرض في بعض قصائده صوره تجاه المحبوبة، وهو لم يكتفِ بالإكثار منها والإطالة فيها، بل راح يُحَوّر في ملامحها تحويراً شديداً، فأوشكَ أنْ ينسخ صورتها القديمة صورة جديدة مختلفة عن سابقتها اختلافاً واسعاً بعيداً(٤٠).

وللأعشى اشعارٌ كثيرة في الغزل، من ذلك الغزل وصفهُ لمحبوبته (قُتيلة) فهو يقول فيها(٤١):

صَحَا القَلْبُ مِنْ ذِكْرَى قُتَيلَةَ بَعَدما ... يَكونُ لَها مِثْلَ الأَسيرِ المُكَبَّلِ

لَها قَدَمٌ رَيّا، سِباطٌ بَنَانُها، ... قَدْ اعتَدَلَتْ في حُسْنِ خَلْقٍ مُبَتَّلِ

وَسَاقَانِ مَارَ اللّحْمُ مَوْراً عَلَيْهِمَا، ... إلى مُنْتَهى خَلْخَالِها المُتَصَلْصِلِ

نِيَافٌ كَغُصْنِ البَانِ تَرْتجُّ إنْ مَشَتْ ... دَبيبَ قَطَا البَطحاءِ في كُلِّ مَنهَلِ

وَتَضْحَكُ عَنْ غُرّ الثَنايا كَأَنّهُ ... ذرى أَقْحُوَانٍ نبتُهُ لَمْ يُفَلَّلِ

تلألُؤَها مِثْلُ اللّجَيْنِ، كَأَنّمَا ... تَرَى مُقْلَتيْ رئمٍ ولَوْ لَمْ تَكَحّلِ(٤٢)

سَجوّينِ بَرْجاوَينِ في حُسنِ حاجِبٍ ... وَخَدٍّ أَسيلٍ، واضِحٍ، مُتَهلّلِ(٤٣)

لَها كَبِدٌ مَلْسَاءُ ذَاتُ أَسِرّةٍ ... وَنَحْرٌ كَفَاتُورِ الصّرِيفِ المُمَثَّلِ(٤٤)

فَقَدْ كَمُلَتْ حُسْناً فلا شيء فَوْقَها ... وَإِني لَذُو قَوْلٍ بِهَا مُتَنَّخَلِ

وَقَدْ عَلِمَتْ بالغَيْبِ أَني أُحِبّها، ... وأَني لِنَفْسِي مَالِكٌ في تَجَمّلِ

حاولنا أَنْ نثبت أكثر أبيات هذه القصيدة التي صور فيها الأعشى محبوبتهِ (قُتيلة) وهي واحدة من النساء اللائي أثرنَ في نفسهِ حُباً عارماً، ولم يستطع أن يقف ساكناً أمام مفاتنها، فراحَ يصورها تصويراً حسياً يصف فيه تفاصيل الجمال الذي تقع عليه عينه، وكيف لا تتوقُ نفسه إلى ذلك الجمال الخلّاب فصوّر مفاتن محبوبته عن طريق الصور الحسية المادية؟، ويظهر من خلال غزلهِ قدرته على تفحص مواضع الجمال، وقُتيلة هذه قد أُعجب الأعشى بها، وملكت عليه حواسه، فعمل ما استطاع لاستمالتها، ولكنها لم تستطع أن تمتلك عليه قلبه، لأنّ الأعشى رجلٌ يهوى الرحيل وعدم الاستقرار، ويستهويه الجمال أَنى وُجد(٤٥).

فالباعث النفسي الذي دفعهُ إلى قوله ذلك هو الرغبة لامتلاكهِ ذلك الجمال المتمثل بالمحبوبة، فهو قد كان في حياته مترفاً مُنّعماً فمن الطبيعي أنْ يكون في دواخله دافع لامتلاكه كل ما تقع عليه عيناه وما تحسه حواسه، فكأنَّهُ صيّاد ماهر متجول في صحراء اللذة.

والأعشى قد اختط لنفسهِ طريقاً لم يحد عنه في سائر أشعارهِ، فهو يتغنى بالجمال ويشيد به، ويرسم له اللوحة التي تعجبهُ، وظاهر من غزله السابق تمكنه التام في جذب من يتغزل بِهنّ من النساء.

ومما ورد من شعر الأعشى في الغزل قوله متذكراً محبوبته (جُبيرة)(٤٦):

لاتَ هنّـا ذِكْـرَى جُبَيْـرَةَ أَو مَـنْ ... جَـــاء مِنْهَـــا بِطـــائِفِ الأَهْـــوالِ

حَـلّ أَهلـي بَطْـنَ الغَمِـيسِ فَبـادَوْ ... لـــي، وقلّـــت عُلْوِيّـــةً بالسِّـــخَالِ

تَرْتَعـي السّـفْحَ، فالكَثِيـبَ، فَـذاقا ... رٍ، فَـــرَوضَ القَطـــا فَـــذاتَ الرِّئـــالِ

ظَبْيَـــةٌ مِـــنْ ظِبَـــاءِ وَجْـــرَةَ أَدْمَـــا ... ءُ، تَسَـــفُّ الكبَـــاثَ تَحـــتَ الهَـــدالِ

حُـــرّةٌ طَفْلَـــةُ الأَنامِـــلِ، تَرْتَـــ ... ـــبّ سُـــخَاماً، تَكُفُّـــهُ بِخِـــلالِ

فهو يصور في أبياته محبوبته تصويراً حسياً معتمداً في وصف محاسنها على حاسة البصر ، وقد استطاع أنْ يبرز جمالها بصور جميلة، ولقد استعار من صور الطبيعة صوراً ليقرنهما معاً وهذا الاقتران يعطي الصور تقبلاً وجمالاً أكثر عند المتلقي، وهو ما يزيد من جمالها الانثوي الفتّان.

وعد الباعث لقوله العاملُ النفسي الذي يوجد داخل كل إنسان ويدفعهُ إلى التحرك لإرضاء ذاته.

الهوامش

(١) العمدة: ١١٦/٢-١١٧.

(٢) الغزل في العصر الجاهلي، احمد محمد الحوفي: ٥.

(٣) الشعر والشعراء: ٢٥٤/١.

(٤) ينظر: أدب عرب الجاهلية، منذر معاليقي: ٩٧.

(٥) ينظر: الأغاني: ١٣٥/١٨.

(٦) ينظر: النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي، عز الدين اسماعيل، مجلة الشعر المصرية، سنة ١٩٦٩، ص ٣-٤.

(٧) المدخل في الأدب العربي، هاملتون جِب: ٢، ٢٣.

(٨) مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي، حسين عطوان: ٢٢٥.

(٩) ينظر: الشعر الجاهلي، محمد النويهي: ٤٢٨.

(١٠) ينظر: الرحلة في القصيدة الجاهلية، وهب رومية: ٢٠.

(١١) ينظر: الغزل في الشعر الجاهلي: ١٢-١٣.

(١٢) ديوان امرئ القيس: ١٨٧-١٨٨.

(١٣) ينظر: البناء الفني لشعر امرئ القيس، عبد الحق حمادي ياسين الهوّاس: ٦٩.

(١٤) ديوان امرؤ القيس: ٩٠.

(١٥) ينظر: شعر الوقوف على الأطلال-دراسة تحليلية، د.عزة حسن: ٦١.

(١٦) ينظر: في الأدب الجاهلي، د.طه حسين: ٢٩٩.

(١٧) النابغة سياسته وفنه ونفسيته، إيليا سليم الحاوي: ٧٤-٧٥.

(١٨) ديوان النابغة الذبياني: ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥.

(١٩) ينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ١١٥.

(٢٠) ينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ٢٤٥.

(٢١) ينظر: النقد الأدبي الحديث، د.محمد غنيمي هلال: ٤١٤.

(٢٢) ديوان النابغة الذبياني: ٦١-٦٢.

(٢٣) ينظر: جمهرة أشعار العرب: ١٠٥/١؛ العمدة: ٩٧/١.

(٢٤) طبقات فحول الشعراء: ٥٣/١-٥٤؛ الشعر والشعراء: ١٣٨/١-١٣٩؛ العمدة: ٩٦/١.

(٢٥) ينظر: في الأدب الجاهلي، د.طه حسين: ٢٨٤.

(٢٦) ديوان زهير بن أبي سُلمى: ١٠٤.

(٢٧) حديث الأربعاء، طه حسين: ٩٢.

(٢٨) ينظر: زهير شاعر السلم في الجاهلية، عبد الحميد سند الجندي:٢٤٥.

(٢٩) ينظر: زهير بن ابي سُلمى، حياته وشعره، الدكتور محمد احسان النص: ١٧٤.

(٣٠) ديوان زهير بن ابي سُلمى: ٣٩-٤٠.

(٣١) ينظر: الصورة الفنية في شعر زهير بن ابي سُلمى، جوان عبد القادر عبد الله: ٦٧، ٦٨.

(٣٢) ينظر: العصر الجاهلي، الدكتور شوقي ضيف: ٣٣٠، ٣٣١.

(٣٣) ينظر: زهير بن أبي سُلمى شاعراً وحكيماً، عبد الغني خمّاس: ٢٨.

(٣٤) ينظر: صناجة العرب الأعشى الكبير، د.مصطفى الجُوزو: ١٥.

(٣٥) ينظر: الموارد الثقافية في شعر الأعشى ، مجلة المجمع العلمي العراقي،ج٣، مج٥٦: ١٣٤-١٣٥.

(٣٦) ينظر: الأعشى الكبير ميمون بن قيس شاعر اللذة والحياة (دراسة وتحليل): ٣٥، ٣٨.

(٣٧) ينظر: الأغاني: ١٠٨/٩.

(٣٨) ينظر: العصر الجاهلي، الدكتور شوقي ضيف: ٣٣٥.

(٣٩) ينظر: الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية، الدكتور حنفي حسنين: ٢٤١.

(٤٠) ينظر: بنية القصيدة العربية، د.وهب رومية: ١٢٣.

(٤١) ديوان الأعشى: ١٦٩-١٧٠.

(٤٢) اللُجين: الفضة. المقلة: العين. الرئم: الغزال.

(٤٣) سَجوّين: ساكنتين. برجاوين: واسعتين مع صفاء لون. الأسيل: اللين الناعم.

(٤٤) الفاثور: الرخام. الصريف: الفضة. الممثل: الذي أُجيد صنعه.

(٤٥) ينظر: الأعشى الكبير ميمون بن قيس شاعر اللذة والحياة: ٦٦.

(٤٦) ديوان الأعشى: ١٩٢-١٩٣.

References

1. Literature of Arab Jahiliya, Munther Maaliki, 2012.
2. The Great Asha, Maimon Bin Qais, The Poet of Pleasure and Life (Study and Analysis), Dr. Mufeed Muhammad Qumaiha, New Horizons House, Beirut, I 1, 1417AH-1997AD.
3. Songs, by Abu Al-Faraj Al-Asbhani, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut - Lebanon, 2nd edition, 1412 AH-1992 AD.
4. The artistic structure of one's hair, Abdul Haq Hammadi Yassin Al-Hawas, Master Thesis, College of Arts - University of Baghdad, supervised by Dr. Bahjat Abdul Ghafour Al-Hadithi, 1408 AH-1988 AD.
5. The structure of the Arabic poem until the end of the Umayyad period (the poem of praise as a model), Dr. Wahb Roumieh, Saad Al-Din House, Damascus-Syria, 1418AH-1997AD.
6. The Poet of the Arabs, Abu Zayd Muhammad Ibn Al-Khattab Al-Qurashi, explained and tuned and presented to him: Mr. Ali Faour, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut-Lebanon, 1st edition, 1986 AD.
7. Wednesday Hadith, Dr. Taha Hussein, Dar Al-Maaref - Egypt, 10 th floor, 1925.
8. Diwan Al-Aashi, Dr. Omar Farouk Al-Tabbaa, Dar Al-Qalam for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 1993 AD.
9. Diwan al-Nabigha al-Dhubyyan, investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma`rif, Cairo-Egypt, 4th edition, 2017 AD.
10. Imran Al-Qais Diwan, investigation: Dr. Mohamed Reda Marwa, Al-Dar Al-Alamia, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1413AH-1993AD.
11. Diwan Zuhair bin Abi Salma, investigation and explanation: Karam Al-Bustani, Dar Sader Printing and Publishing, Beirut-Lebanon, 1379 AH-1960 AD.
12. The Journey in the Pre-Islamic Poem, Wahb Roumieh, The Palestinian Writers and Journalists Union, Beirut - Lebanon, 1975 AD.
13. Zuhair bin Abi Salma, His Life and Poetry, Ehsan Al-Nass, The Egyptian Foundation for Printing and Publishing, 2nd Edition, (D.T.(.
14. Zuhair bin Abi Salma, poet and wise, Abdul-Ghani Khammas, Al-Jahez Press for Printing and Publishing, Baghdad, 1986.
15. Zuhair, the poet of peace in ignorance, Abdel Hamid Sanad Sanad, the Egyptian Foundation for Printing and Publishing, (D.T.(.
16. Pre-Islamic Poetry: Its Characteristics and Art, Dr. Yahya Al-Jubouri, Dar Al-Tarbeya, Baghdad, 1981.
17. Pre-Islamic Poetry, Its Phases and Artistic Trends (Text Study), Dr. Sayed Hanafi Hassanein, Egyptian General Authority for Authors and Publications, Cairo, 1971.

18. Pre-Islamic poetry is a methodology in its study and evaluation, Dr. Muhammad Al-Noihi, National House, Cairo, (D.T.(.
19. The Poetry of Standing on the Ruins - An Analytical Study, Dr. Azza Hassan, Al-Taraqy Printing Press, Damascus-Syria, 1968.
20. Poetry and poets, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim Ibn Qutaybah al-Dinuri (d. 276 AH), investigation: Ahmed Muhammad Shaker, Egypt, 1966.
21. The Great Worst Saddle of the Arabs, Dr. Mustafa Al-Jozo, Dar Al-Tale'ah, Beirut-Lebanon, 1st edition, 1977 AD.
22. The artistic image in the poetry of Zuhair bin Abi Salma, Joan Abdul Qadir Abdullah Naqshbandi, Master Thesis, College of Education - Al-Mustansiriya University, supervised by Assistant Professor Dr. Abdul Karim Radhi Jaafar, 1417AH-1996AD.
23. Layers of stallions of poets, Muhammad ibn Salam al-Jamhi (d. 231 AH), investigation: Abu Fahr Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press, Cairo, Egypt, 1974 AD.
24. The Pre-Islamic Age, Dr. Shawky Deif, Dar Al-Maaref, Egypt, 10 th, 1960 AD.
25. The Mayor, Abu Ali al-Hasan bin Rashiq al-Qayrawani al-Azadi (d. 456 AH), achieved it, separated it and commented on his footnotes: Muhammad Muhi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Jeel, Beirut-Lebanon, 4th edition, 1972.
26. Spinning in Pre-Islamic Poetry, Ahmad Muhammad al-Hofy, The Egyptian Renaissance Library, Cairo, 1962.
27. Spinning in the Pre-Islamic Era, Ahmad Muhammad al-Hofy, Dar al-Qalam, Beirut - Lebanon, 1961.
28. In Pre-Islamic Literature, Taha Hussein, Dar Al-Maarif, Egypt, 16th floor, 1989AD.
29. Introduction to Arabic Literature, Hamilton Jeb, Dar Al-Jahiz, Baghdad, 1969.
30. Introduction to the poem in pre-Islamic poetry, Dr. Hussein Atwan, Dar Al-Maaref for Printing and Publishing, Egypt, 1970 AD.
31. Cultural Resources in Al-Aashi Poetry, Dr. Abdul-Latif Hamoudi Al-Taie, Journal of the Iraqi Scientific Complex, Volume 3, Vol. 56, Baghdad, 1430 AH-2009 AD
32. The genius of his politics, art and psychology, Elia Salim El-Hawi, School Library, Lebanese Book House, Beirut-Lebanon, (D.T.(.
33. An-Naseeb at the forefront of the pre-Islamic poem in the light of psychological interpretation, Dr. Ezz El-Din Ismail, Egyptian Journal of Poetry, 1969.
34. Modern Literary Criticism, Dr. Muhammad Ghanimi Hilal, Dar Al Thaqafa, Beirut-Lebanon, 1973.